الأثر الفارسى فى شرق افريقية

د٠ عبد الله نجيب محمد

المدرس بمعهد البحوث والدراسات الافريقية

يرتبط تاريخ افريقية بالمحيط الهندى والبلاد الواقعة على شطانه ، أكثر مما يرتبط بتاريخ القارة الافريقية نفسها ، وهذه البلاد هى الجزيرة العربية وبلاد فارس والهند ، وكان المحيط الذى يفصل هذه البلاد ، هو نفسه عامل الوصل بينها ، حيث كانت تجوبه السفن التى تدفعها الرياح الموسمية الى بلاد الهند وفارس وجنوب الجزيرة العربية مدة ثلاثة شهور من السنة تبدأ من شهر ديسمبر ، ثم تدفعها مرة أخرى الى شرق افريقية مدة ثلاثة شهور أخرى تبدأ من أبريل ، وهكذا نشأت الرحلات التجارية المنتظمة بين هذه البلاد منذ أقدم الأزمنة ٠

وصل المصريون (١) الى شواطىء شرق افريقية ، وكذلك الفينيقيون(٢) والاشوريون ٠

---

(١) من المعلوم أن المصرين لم يتوقفوا عن امداد قلب القارة بالتأثيرات الحضارية، ومن ذلك رحلات « حرخوف » الى واوات وارثت وبلاد أخرى فى عمق القارة حيث يوجد بها أقزام فى نواح يسميها المصريون أرض الارواح ، ويظن بعض المؤرخين أنها تقع فى جنوب كردفان ودارفور ، ذلك كان فى الألف الثالث ق٠م فى عهد الملك « مرنر » وفى زمن « حتشبسوت » و « تحتمس الثالث » أى فى الألف الثانى ق٠م ، ذهبت السفن المصرية فى البحر الأحمر الى بلاد بونت ، ويقول « هيرودوت » : « ان نخاو الثانى » (٦٠٩ ق٠م) أرسل بعثة للطواف حول القارة الافريقية ، وكان القصـــد من ذلك تحقيق أهداف تجارية الى جانب الدافع العلمى ، وقد استغرقت الرحلة ثلاث سنوات ، راجع ، نجيب ميخائيل ابراهيم ، مصر والشرق الأدنى القديم جـ ١ ، مصر ٠ الكتاب الثانى ١٩٥٨ ، ص ٣٠٩ وراجع أيضا :

Oliver & Fage : A short History of Africa. Penguin Books 1962, p. 37.

(٢) عن تجارة الفينيقين مع الافارقة راجع :

Basil Davidson. The African past Penguin Books, 1964, p. 64.

أما الايرانيون · فلم تنقطع صلاتهم بالمحيط الهندى وافريقية منذ أقدم العصور ، فقد حل الفرس محل الآشوريين والكلدان فى السيطرة على بلاد الشرق القديم ، واستولى « قمبيز » على مصر سنة ٥٢٥ ق·م وحاول ضم الحبشة ، وعندما أتم « دارا الأكبر » (٥٢١ ـ ٤٨٥ ق·م) تنظيم دولته المترامية الأطراف عمل على أن يجعل من بلاد الفرس دولة ذات قوة بحرية عظيمة ، فأرسل البحار « سكيلاكس » ليكتشف له نهر « السند » ثم أمره بالابحار ازاء شواطىء آسيا من مصب السند متجها صوب الغرب حتى خليج السويس ، وكان ذلك حوالى عام ٥٠٠ ق·م ، كذلك أعاد « دارا » حفر القناة المصرية القديمة التى كانت تربط النيل بالبحر الأحمر ، فأبحرت السفن من مصر الى الفرس عن طريق هذه القناة ، فالبحر الأحمر ، فالمحيط الهندى ، فجوب ايران ، وكان « دارا » يهدف من وراء كل ذلك الى جعل الشاطىء الجنوبى لبلاد الفرس يساهم فى النشاط التجارى المزدهر بين الهند وشرق افريقية ، وعالم البحر المتوسط ، ولا تزال بعض المحطات التى أنشأها الفرس القدماء موجودة حتى الآن فى جزر البحرين وهرمز وساحل مكران بالقرب من نهر السند ·

ولم تنقطع صلات الفرس بافريقيا على عهد الاسكندر وملوك الطوائف ؛ وفى العصر الساسانى حاول الايرانيون المشاركة فى تجارة المحيط الهندى ، ولكن الرومان قطعوا عليهم الطريق فى بداية الأمر ، ولكنهم نجحوا فى غزو المحيط بعد تعزيز مراكزهم فى السند ، ويقال ان الملك أردشير أول الساسانيين كان على علاقة بسلطان « زنجبار » وانشأ عدة ثغور فى جنوب ايران تشجيعا للتجارة الفارسية ·

وفى عهد « كسرى أنوشيروان » استولى الفرس على اليمن ، وطردوا الأحباش منه ، ونصبوا عربيا حاكما عليه من قبلهم ، وكان الصراع على أشده بين الساسانيين والرومان ، فعملوا على قهر الحبشة المسيحية التى كانت تناصر الرومان ، وعملوا أيضا على توطيد مركزهم التجارى فى المحيط الهندى ، ودفع الرومان بعيدا عنه ، وقد أدت الحروب المستمرة بين الدولتين الى تقليل أهمية البحر الأحمر فى التجارة آنذاك ، وفى الوقت نفسه عملت على تدعيم أهمية الطرق البرية التى يسيطر عليها الآراميون والعرب ،

الذين عملوا كوسطاء فى التجارة بين الدولتين آنذاك ، وظهرت تدمر ثم سلع (البتراء أو بطرة) ثم مكة والمدينة علاوة على مدن اليمن وحضرموت ، وبلغ التجار العرب مبلغا كبيرا فى الشهرة والمغامرة ، وبلغت سفنهم جـــزيرة « سرنديب » وجلبوا من شرق افريقية الذهب والعاج والحيوانات كالقردة والنسانيس وغير ذلك ، وازدهرت تجارة الحرير والقرنفل والعود والصندل فى كل البلاد التى كانت خاضعة للامبراطورية الفارسية ٠

فى هذه الفترة هاجر كثير من العـــرب والفرس الى شرق افريقية ، وأقاموا لأنفسهم بعض المستقرات الدائمة على الساحل ، وجاء بعد الفرس الاغريق والرومان وترسموا نفس الطريق الذى سلكه من سبقهم ٠

اما العرب فكانت رحلاتهم الى شرق افريقية مستمرة ودائمة منذ أقدم الأزمنة ، ولم يؤثر فيها كثيرا اختلاف الدول فى حكم الشمال ، أعنى الشام والعراق ، وهاجر كثير منهم الى بلاد الساحل واختلطوا بســـكانه أزمانا متعاقبة (٣) ٠

وعندما ظهر الاسلام ، زاد اهتمام العرب والفرس بالمحيط الهندى ، من ذلك ما تعرف من أنه فى عهد الخليفة الثانى « عمر بن الخطاب » اتخذ العرب لهم قاعدة فى البحر الأحمر ، قريبة من الشاطىء الافريقى ، ونزلوا أرخبيل « دهلك » على مقربة من « مصوع » (٤) وتوطدت علاقتهم بالساحل

---

(٣) كان اليمنيون فى عهود الحضارة المعينية والسبائية والحمرية يحرصون على التجارة فى مضيق باب المندب ، وكثيرا ما سيطروا على الضفة الغربية لهذا الممر المائى وكثيرا ما هاجر بعضهم فى موجات متعاقبة فى عصور سحيقة الى الســاحل الغربى واستقر بعضهم على ساحل « اريتريا » وتوغل بعضهم الى هضبة الحبشة ومن هؤلاء ٠ أولئك الذين حملوا اللغة « الجعزبة » اليها ، ولا يبعدان يكون بعضهم قد هاجر الى الساحل الصومالى جنوبا ، وقد صور لنا البحار الاغريقى صاحب كتاب Periplus (الرحلة الدائرية) نشاط العرب الممتد من « غورداقوى » شمالا حتى « زنجبار » جنوبا ، ووصف رحلاتهم ومغامراتهم وسفنهم الكبيرة التى كانت تحمل السلع المختلفة فى المنطقة ٠

(٤) صبح الأعشى حـ ٥ ص ٣٣٦ ٠

الافريقى ، واستمر الحال على ذلك قرونا متعاقبة ، ويجمع كتاب القـــرن العاشر (٥) على ذلك ففى هذا القرن وما قبله ، ظهرت جاليات اسلامية قوية فى « دهلك » و « سواكن » و « باضع » و « زيلع » و « بربرة » ونشـأت امارات اسلامية عديدة ، وازدهرت التجارة ٠

ولقد شملت الفتوحات الاسلامية بلاد الفرس ومصر وغيرها ، وشارك الفرس فى سياسة الدولة الاسلامية ، وشاركوا العرب أيضا فى حمل التجارة، وهاجر بعضهم الى شرق افريقية ، ويروى أنه عند الفتح الاسلامى هاجر بعض الايرانين المتمسكين بديانتهم الزرادشتية القديمة الى جزيرة هرمز ، وهاجر بعضهم الى « بومباى » الهند ، وقليل منهم الى شرق افريقية وأقاموا على سواحلها بالقرب من جزيرة « زنجبار » ولم تنقطع صلاتهم بوطنهم الأصلى فى ايران ، ويروى أيضا أنه فى وقت ما من القرن السادس الميلادى ، تدفق عدد من المهاجرين كفرس الى شرق افريقية ٠ وأقاموا مســـتعمرة لهم فى « سانجى ياكاتى » Sanji ya Kati التى تقع الى الجنوب من مدينة «كيلوا» حيث عثر العلماء فى أطلال هذه المستعمرة ـ التى لا تزال موجودة ـ على بعض الأوانى الفخارية والمعدنية التى تشهد بهذا الأثر الفارسى فى هذا الوقت المبكر ٠

ثم وقعت المنزعات بين المسلمين ، وبدأت طوائف أخرى من العرب وغيرهم تشد الرحال الى شاطىء افريقية ، فرارا من ضغط سياسى أو مذهبى، أو بحثا عن موارد اقتصادية جديدة ، أو التماسا لمواطن أكثر أمنا وطمأنينة ويبدو أن هجرة من هذا القبيل حدثت فى القرن السابع الميلادى أو فى سنة ٦٩٥ على وجه التحديد ، حيث هاجر فريق من أهل الشام المعارضين لبنى أمية ، فرحلوا جنوبا ، وكانت أعدادهم كبيرة ، فأخضعوا السكان الأصليين ، واقتحموا مينـاء « ويونى » وكانت به جاليـــة تزيد عن عشرة آلاف من المسلمين (٦) ٠

---

(٥) مثل السعودى ٩٣٥ ـ ابن حوقل ٩٣٧ ٠

(٦) ألقى الاستاذ « هتشنز Hichens » الضوء على أخبار هذه الهجرة حين عثر على كتاب ألفه « شيبو فرح بن حمد الباقرى ، عنوانه « خيرلامو » يعرض فيه تاريخ هذا البلد ، راجع :

Trans. W. Hichens, Witwatersand Press, Johannesberg, 1938.
Hitchens. Islam in East Africa, p. 110.

كذلك هاجر فريق من قبيلة الأزد العمانية الى شرق افريقية ، وانتهى بهم المطاف الى مدينة « لامو » شمال « ممباسا » فكانت امارة لامو هذه هى أقدم الامارات الاسلامية ظهورا فى ساحل شرق افريقية (٧) ٠

ثم انحدرت هجرة مماثلة لأسباب دينية هذه المرة ، فقد حدث انقسام فى صفوف الشيعة ، فاضطر كثير من « الزيدية » الى الهجرة ، حيث خرجوا سنة ٧٢٩ م واستقر بهم المقام فى « شنجايا Shonguya » (٨) ولكن هجرة أخرى تبعتها فى سنة ٩٠٨ (على نحو ما يذكر صاحب كتاب « خبر لامو » أو فى سنة ٩٣٠ على نحو ما يذكر كوبلانسدا) حيث خرج سبعة اخوة من الاحساء ونزلوا على ساحل الصومال ، وأسسوا مدينة « مقديشو » وطردوا الزيدية الى الداخل (٩) ثم أنشأوا مدينة « براوة » و « مركة » التى تقع عند نهر « ويبى » وقرفاوه ، و « النجا » و « بذونه » (١٠) وغيرها، ويضيف هنيشنز أنه ظهرت مدن أخرى مثل « ماتدا » فى جزيرة « ماتدا » و « أوزى » و « شاكه » قرب دلتا نهر « تانا » ٠

شارك الفرس فى احداث العالم الاسلامى آنذاك ولعبوا دورا رئيسيا فى هذه الفترة ، وتعرضوا للاضطهاد وقامت حروب شتى على أرض فارس ، مما دفع جماعات من الفرس الى الهجرة والاعتصام بشرق افريقية ، وزاد عددهم واختلطوا بالسكان ، وتزوجوا منهم ، وأثروا وتأثروا بهم ٠

وفى الأدب الشعبى الشيرازى قصة تتحدث عن أحد السلاطين الفرس

---

(٨)يحدد « كوبلاند » موقعها فيذكر أنها فى مكان مدينة الحاليـــة Cimpland : East Africa, p. 21.

والرابعة فى « كونجى » والخامسة فى جزيرة القمر وسادسة فى « انجوان » والسابعة فى « بوينى » (شمال مدغشقر) وكان على كل سفينة أمير شيرازى ، راجع ص ٩٥٧ من القاموس السواحلى Port Dunford ، وأن ذلك كان بعد الاحتـــلال البرتغالى بقليل (أى بعد عام ١٥٠٦)

(٩) ورد فى سجلات مدينة كيلوا أنه حوالى سنة ١٢٤ هـ (٧٣٩ - ٧٤٠ م) استوطن اتباع زيد المتوفى عام ٧٤٠ م ساحل شتجايا جنوب البنادير ثم انتقلوا الى الداخل ، ويقال انهم اسلاف قبائل « جونيا » فى الجزء الواقعة شمال « لامو » وعلى الساحل المقابل ٠

(١٠) انظر ٠ الادريسى ٠ كتاب المهج وروض الفرج 450 R.S.IX .

المسمى « الحسين بن على » وتقول : انه أبحر مهاجرا هو وأولاده الستة جنوبا ونزل كل منهم فى مدينة من مدن الساحل الافريقى واستوطن بها ، تقول الرواية : (١) « فى حوالى عام ٩٥٠ م وصلت جماعة من « شيراز بجنوب ايران ليستقروا على ساحل شرق افريقية ، وقد جاءوا فى سبعة سفن، يقودها رجل من المحتمل أن يكون ابن سلطان شيراز ومعه أولاده الستة ، وفى أثناء ابحارهم حول الساحل ، توقفت بعض السفن فى مناطق صغيرة مثل « حمياسا » و « زنجبار » أما ابنه « حسين بن على » فقد ظل يبحر حتى وصل الى « كيلوا » وكانت مدينة صغيرة ، فأعجبته وقرر هو ورجـــاله الاستيطان بها ، وقابل رئيسها « منيرى وابارى » وأبلغه أنه يرغب فى شراء الجزيرة القريبة ، فاتصل « منيرى » برئيس القبيلة الذى وافق على بيعها مقابل أطوال من القماش تكفى لاقامة سور حولها ، فأعطاه «حسين بن على» ما طلب ، وبدأ استيطانه فوق الجزيرة التى أطلق عليها اسم « كيلوا كيسواى» وكانت هى النواة لمدينة « كيلوا » المزدهرة القوية (١٢) ٠

ويرى الشيخ « محيى الدين الزنزبارى » الذى لخص كتاب « السلوى فى تاريخ « كلوا » يذكر (٤ ص ٤١٧) أن هذه السفن كانت سبعا وأن قائدها هو « حسن » صاحب شيراز (١٣) وأبناءه الستة ويحدد تاريخها بسنة ٩٧٥م، ولكن الاستاذ هيتشنز (١٤) يذكر أن هذه الهجرة تمت بين سنتى (١٠٥٥ ـ

---

(١١) هناك رواية أخرى تذكر أن ابحار « الحسين بن على » وأولاده كان حوالى عام ٤٠ هـ ـ ١٠٠٩ م وأنه نزل فى « هانزوان » (وليس فى كيلوا) بجزر القمر ، والاخرون فى « يامبى » (جزيرة تواجه مدينة تانجا » و « بيلاد » و « كيلوا » وشواجر» (شانجا على جزيرة باتى) وما نداكوبين باتى ولامو) والجزيرة الخضراء (يمبا) وما تفاسا أو ما نفيا (مافيا) ، كذلك يروى الأستاذ «حيفرى » هذه القصة برواية مختلفة استمدها من مخطوط عثر عليه فى « مايوت Mayette ، وتقول هذه الرواية أن قائد السفن هو «م حمد بن عيسى » وأن احدى السفن نزلت فى ساحل « جونيا Gunya » أو آمو ، والثانية فى زنجبار ، والثالثة فى « تونجى » Essai sur Les Comores Pondicherg : 1870.

(١٢) راجع : ب٠ كلارك « تاريخ تنجانيقا » ٠

(١٣) صحة الاسم كما ورد فى مصادر ايرانية حديثة هو « على بن حســـن الشيرازى » وهو أول حاكم لدولة زنجبار ، أما أبوه حسن بن على فقد كان رئيس مدينة كيلوا فحسب ٠ راجع : عبد العزيز فهمى : ايرانيها وشرق افريقية انتشارات بنياد فرهنك ايران ٢٤٧ ٠

١١٠٠) وأن المهاجرين الشيرازيين كانوا من الشيعة الذين فروا من وجه طغرل بك السلجوقى الذى فتح شيراز سنة ٤٤٧ ـ (١٠٥٥ م) ٠

وتعليقا على هذه الروايات وغيرها نقول : « ان ما جاء بها يعتبرها ما فى دلالته العامة ، ولكن ما يلفت النظر فى هذه الروايات هو اختلافها فى تحديد التاريخ ، وتحديد الجهة القادم منها الشيرازيون ، فهناك رواية أخرى تقول : ان السلطان (الحسن بن على) كان قادما من مدينة « شونجويا » Shungwaya (١٥) فى الشمال ، ورواية أخرى تقول انه وفد من « باتى » ، وربما لم تكن هجرة الشيرازيين من « شيراز » مباشرة ٠ والا لما غفلت عنها كتب التاريخ الاسلامى ، ولكن يبدو أن هجرة الشيرازين كانت تدريجية وعلى فترات مختلفة وفى ظروف متباينة ، وربما كانت هجرتهم من شمال « البنادير » (١٦) الى تلك الجزر ، فقد كان الركود الذى طرأ على التجارة سببا فى المزيد من التدهور فى المستوطنات الشمالية التى استقر بها بعض العرب والفرس ، مما أدى الى هجرتهم جنوبا الى مناطق أكثر انتعاشا ٠

ومما يؤيد قدم الفرس فى شرق افريقية ، أن مسجد « أرابا ركن » (الركن العربى) فى مقديشو ، عليه نقوش يرجع تاريخها الى سنة ٦٦٧ هـ ـ ١٢٦٨ ـ ١٢٦٩ م منسوبة الى « خسرو محمد الشيرازى » الذى بناه ، وهناك نقوش أخرى تسجل استيطان أحد مواطن « نيسابور » فى « خسروان »(١٧) كما لا توجد سوى أدلة قليلة ٠ وقبل القرن الثالث عشر ـ تشير الى تأثير فارس جنوب مدن ساحل البنادير ٠ منها مسجد فى جزيرة زنجبار وفى قصر « جوسونى‌كوبوا » فى جزيرة كيلوا » ٠

وعلى أى حال فنحن نعرف أن حكام « كيلوا » الجدد قد أقاموا علاقات صداقة مع جيرانهم من العرب ، الذين كانوا قد استوطنوا جزر أخرى مثل « ممباسا » و « زنجبار » وعززوا علاقتهم بسكان جزيرة « كيلوا » المحليين ،

---

(١٤) Hichens 117.

(١٥) Kilwa Chronicle 1892, pp. 411-12.

(١٦) هو ساحل شرق افريقية ويسمى أيضا الساحل « الأزانى » وأزانيا هى « تنزلنيا » ٠

وتزوج حاكم « كيلوا » ابنة « منيرى » وبعد موته خلفه ابنه · فقام بالاستيلاء على جزيرة « مافيا » المجاورة ، ولكن سكانها من العرب وغيرهم طردوا السلطان من الجزيرة ، فهرب الى « زنجبار » ثم عاد بعد فترة الى « كيلوا »·

كانت مدينة « كيلوا » موجودة فى أيام « ياقوت » الذى أشار اليها فى معجمه فيما بين عامى ١٢١٢ ـ ١٢٢٩ بلا تعليق وقال : « انها مدينة فى أرض الزنج ، مع ان حكامها فى ذلك الوقت كانوا من المسلمين ، وقد حلوا بالتدريج محل الزنج (البانتو) فانتشره الحضارة الاسلامية ، وزاد انتشار الاسلام بين الباتنو ، وامتد من المدن الى القرى فى الداخل ·

وزار ابن بطوطة « كيلوا » حوالى عام ١٣٢٩ م ، ووصفها بأنها مدينة كبيرة حسنة البناء · ومعظم مبانيها من الخشب يسكنها شافعيون متدينون مشغولون غالبا بالحرب مع الزنوج الوثنيين ، وكان سلطانها متواضعا وكريما · فهل معنى ذلك أن الحضارة الشيرازية لم تكن قد اتخذت شكلها فى هذه الأعوام ؟ ·

نحن نعتقد أن الحضارة الشيرازية كانت قائمة بالفعل ولكن ربما كان حكام « كيلوا » الشيرازيين ليسوا من الشيعة ، كما ادعى « هيتشنز » فليس هناك ما يقطع بذلك ، وربما كان صحيحا ما ذكره محيى الدين الزنزبارى من أن بعض القرائن تدل على ان هجرة على بن حسن صاحب شيراز ، كان سببها أن أمه كانت حبشية سوداء ، فعيره اخوته بذلك · فآثر الهجرة الى شرق افريقية (١٨) ·

وعلى أى حال ، فقد كانت « كيلوا » على عهد الشيرازيين احدى المدن الثرية فى شرق افريقية ، أغدقت عليها التجارة بالأموال والثروة ، فازدهرت ازدهارا كبيرا ، وقام سكانها الأثرياء ببناء الدور والقصور ، ونهضوا بالمدينة الى مستوى راق فى الحضارة والتقدم ، وأدخل الفرس أساليب جديدة فى البناء ، فقد برعوا فى أعمال النجارة ، واستخدموا الخشب فى صناعة

---

(١٧) راجع : E. Cerulli : Somaelia, I-9.

(١٨) راجع : ايرانيها ص ٤٣ ·

الأبواب وغيرها وكانوا يحفرون عليه أشكالا زخرفية بديعة لازالت تشاهد حتى اليوم فى زنجبار ٠

كذلك ابتدعوا وسائل فنية جديدة فى قطع الأحجار ، والبنـــاء بها ، فكانوا يلصقونها بالأسمنت ، ويصفونها صفوف منتظمة فى أشكال بديعة ، واستخدموا الأعمدة فى البناء ، وبنوا القباب فى المساجد والقصور ، ويقول الأستاذ « كلارك » : « لو أنك ذهبت اليوم الى مدينة « كيلوا » فانك ســوف ترى أطلال المسجد وقصر السلطان اللذين كانا قد أقيما منذ سبعمائة عام على الأقل ، ولعل السلطان سليمان هو الذى بدأ تشيدها فى عام ١٢٠٠ م ٠ ثم يصف كلا من القصر والمسجد ، وكيف أن سقف الأخير كان مكونا من مجموعة من القباب المتلاصقة مقامة على أربعين عامودا حجريا» كل ذلك يدل على براعتهم فى البناء ، ويدل أيضا على رقى فن العمارة بوجه عام ، ليس ذلك فحسب ، بل لقد برعوا أيضا فى فن النسيج ، واستخدموا القطن وغيره فى الغزل ، وصنعوا أشكالا بديعة راقية ٠

وكان للفرس أيضا فضل ادخال التقويم الشمسى فيما يتعلق بالدورة الزراعية ، من بذر البذور الى الحصاد ، بل واستخدمها الأهالى أيضا فى الأغراض الملاحية ، وتبدأ السنة بيوم النيروز Nairuzi ، وليلة رأس السنة ، حيث يحتفل الأهالى بهذه المناسبة على طريقتهم الوطنية ٠

تكونت مجتمعات شيرازية على طول الساحل ، وكانت هذه المجتمعات دولا مستقلة فى مدن ، تتباين علاقاتها بين التحالف والعداء ، وكانت أهم البلاد التى حازت شهرة وقوة فى شرق افريقية هى « كيلوا » و « باتى » و « ممباسا » هذه المدن كانت ذات طابع اقتصادى ، ولها أيضا نشاط زراعى٠ حيث جلب اليها المهاجرون زراعة البرتقال والذرة والفلفل والأرز والقرنفل وهى المحصولات التى لا تزال عماد الزراعة الى اليوم ٠

زحزحت « كيلوا » مقديشو عن موقعها فى السيطرة على التجارة ، وحلت محلها منذ القرن الثانى عشر ، وتوسعت على حســـاب جيرانها ، وأصدرت لنفسها عملة نحاسية خاصة وظلت مزدهرة قوية الى أن جـــاء

البرتغاليون فى القرن الخامس عشر (١٩) · فقضوا على آمال الشيرازيين فى السطوة والمجد ·

ويبدو الأثر الفارسى واضحا فى نظام الحكم ، وفى الرسوم والتقاليد التى كانت شائعة فى العهد الشيرازى ، فقد كانت سلطة الحاكم مقيدة دائما بواسطة مجلس يسمى « مجلس المحنكين » ·

وهو المجلس الذى كانت تنتخب عناصره من العائلات الكبرى ، وكان للسلطان وزيرا أول يسمى « شاها » Shaha وسكرتير دولة ·

ونائبه akida ، وكانت مهام المجلس تظهر عند تنصيب الحاكم وعند وفاته ، أما القابهم ونظمهم فكانت تختلف من مدينة الى أخرى ، وفى بعضها استعمل « قون » (قيل انه استحضر من بلاد فارس ، ومعه طبول ومزمار طويل من الخشب أو العاج والبرونز) عند تنصيب الحاكم ·

وعلى أى حال فقد بقيت كثير من الجزر والمدن مثـــل « أوزى » و « مالتيدى » و « ممباسا » تحمل طابعا شيرازيا حتى بعد الحكم البرتغالى ثم أعقب انهيار الاستعمار البرتغالى حقبة جديدة تأثرت فيها حضارة الساحل بعرب عمان الذين استطاعوا قهر البرتغاليين وطردهم من مدن الساحل ، ثم أنشأوا دولة « زنجبار » مما أدى الى اعادة تشكيل الحياة الشيرازية فى المدن المنهارة ، والى سيادة المذهب الشافعى ، الذى كان مذهب العمانين ·

ويتوقع الباحث أن يرى أثرا فارسيا واضح المعـــالم فى « اللغـــة السواحيلية » ولكنه يصاب بخيبة أمل عندما يجد القليل جـدا من الكلمات الفارسية التى ظلت مستخدمة فى السواحيلية (مثل كلمـــة « نيروزى من نوروز وشاها من شاه وديسمالى من دست مال وسركا لى من سركا) وهى كلمات قليلة جدا بالنسبة للكلمات العربية فى اللغة السواحيلية ، ولعل دهشة الباحث تزول اذا أدرك أن اللغة الفارسية نفسها وان لم تكن من عائلة اللغات

---

(١٩) عندما القى فاسكودى جاما مراسيه فى موزمبيق وجدها تخضع لحاكم كيلوا، وكذلك مدينتى كوفاك وكواما (دلتا الزمبيزى) وأنجويا ·

السامية التى تنتمى اليها العربية قد دخلتها ألفاظ عربية كثيرة تصل الى ٤٠٪ منها فلعل انتقال الكلمات العربية الى السواحيلية قد تم منهـــا ومن الفارسية المتأثرة بالعربية ، وقد يكون السبب هو أن اللغة العربية كانت محل اهتمام المهاجرين سواء أكانوا من الفرس أم العرب فهى لغة الحضارة والدين آنذاك ٠

وعلى أى حال ، فاذا كنا نفتقد أثرا فارسيا واضـــحا فى اللغـــة السواحيلية ، فاننا نلمس هذا الأثر واضحا فى كثير من العادات والتقاليد والفنون كما سبق أن ذكرنا ، ولا زال هذا الأثر واضـــحا فى الاحتفالات الدينية خاصة ، حيث يهتم الشيعة بالسنة الهجرية ، ويحتفلون بيوم عاشوراء وذكرى مقتل الحسين ، فيلبسون السواد ، ويعدون التوابيت ونماذج لمقبرة الحسين فى كربلاء ؛ وفى زنجبار يعتبر اليوم العاشر من المحرم عطلة رسمية، حيث يقضى السكان الليل كله فى مواكب تطوف المدينة من العاشرة مساء حتى الثالثة صباحا ، يحملون الماء وغيره ويقودون جوادا أبيض يغطونه بالدم ، ويلبسونه عمامة سوداء على رأسه ويغنون بالفارسية والعربية ، وتنتهى أيام الحداد والأربعين فى العاشر من شهر صفر حيث يحتفل بالتشريفة ، بالقاء الكلمات بالعربية والفارسية والهندية ٠

كذلك فان المواكب الجماعية المصحوبة بالغناء والرقص والتى تسمى Gungu ترتبط عادة بزيارة ضريح « شاها مشا هام بن هشام » آخر الحكام الشيرازيين فى « ممباسا » (١٥٩٢) والذى يقع فوق ربوة عالية على الجزيرة فى مواجهة « كيسوانى » ٠

ومذهب الاثنا عشرية ، منتشر بشكل ما فى شرق افريقية ولكنه ليس فى قوة المذهب الاسماعيلى ، ويقال ان هناك حوالى ٢٠٫٠٠٠ ألفا من الاثنى عشرية فى دولة شرق افريقيا الأربع (كينيا ـ أوغندا ـ تنزانيا ـ الصومال)٠

وعدد كبير منهم قد تحولوا الى هذا المذهب من المذهب الاسماعيلى حـــديثا ٠

وتتركز حياة الامامية (الاثنا عشرية) حول المنبر الامامى

وهو مبنى مخصص لاقامة الاحتفالات الدينية واحتفالات شهر المحرم بصفة خاصة ، وهو يتكون من غرفتين رئيسيتين احـــداهما عبـــارة عن مسجد له محراب داخلى ، والأخرى قاعة تسمى « المجلس » Majlis مزودة بمنبر تلقى منه الخطب ، وقد تكون للمجلس قاعتان احداهما مخصصـــة للنساء ، وذلك بالاضافة الى مكان للوضوء ، وبعض الغرف لاستقبال كبار الضيوف من الفقهاء (ملا) الزائرين وغير ذلك · كل ذلك يتوسط مساحة كبيرة لاعداد المواكب · وتستضيف الجماعة عـــادة فقهاء الاثنى عشرية القادمين من باكستان وغيرها ·

أما الاسماعيلية (وهم ينقسمون الى قسمين أســـاسين الغربيون أو « المستعليون » والشرقيون أو « النزاريون » فيوجد منهم فى جميع المراكز الرئيسية فى شرق افريقية من يسمون « الداوديين » (أتباع داود بن قطب شاه داعية المستعليين فى الهند) والداعى الداودى الحادى والخمسون هو أبو محمد طاهر سيف الدين ويطلق عليه Mullaji Suhib ويعيش فى بومباى ويتبعه فى شرق افريقية جماعة قوية من التجار يعرفون عادة باسم « البهريين » وقد استوطن اليهريون زنجبار فى مبدأ الأمر عام ١٧٤٨ ·

أما النزاربون فهم أكثر المجتمعات تنظيما فى شرق افريقية ، وتتركز حياتهم حول الامام باعتباره زعيمهم الأكبر ، وقد أنشأ أغاخان الراحل خمسة مجاس اقليمية لشرق افريقية ومجلسا اتحاديا فى ممباسا ، ولهم نشاط واسع فى شرق افريقية بصفة عامة ·

وعلى أى حال فقد اختفت الثقافة الآسيوية الشيرازية التى لا تزال آثارها التى سبق ذكرها ظاهرة فى بقايا المدن الساحلية ، وأصبح المجتمع الساحلى بصفة عامة ذا طابع بانتوى اسلامى مصبوغ بصبغة عربية حملها الى الساحل اليمنيون وعرب عمان ومن سبقهم ، وهذا هو الشكل العـــام للثقافة السواحيلية فى شرق افريقية ، ومما يدل على ذلك أن لفظ « شيرازى » نفسه أصبح يدل على العائلات القديمة عربية وفارسية ، وهم قلة بصفة عامة بين السواحيليين فى المدن والقرى ومعظمهم ينسبون أنفسهم الى العـــرب المهاجرين الأول · كذلك قل عدد الشيرازيين فى كثير من المستوطنات على

ساحل « تانجا وبانجانى ومريما تتجه للحروب والمجاعات والاوبئة ، ولقد كان الشيرازيون فى ساحل تانجا (مثل متانجاتا ومكواجا « Mtangata, Mkuja) يعيشون فى مجتمعات تتكون من أسر وعائلات تحت زعامة كبير منها يسمونه « جومبى Jumbe وتنتقل وظيفته من بعده من شخص الى آخر فى دائرة أقاربه وأسرته ولا يتوارثها أبناؤه وأحفاده ، وعلى أى حال فقد هاجر بعض الشيرازيين من بلادهم الأصلية على الساحل واستوطنوا بلادا جديدة مهجورة فى الفترة التى أعقبت الحكم البرتغالى ، من ذلك ما تعرفه من احيائهم لمدينة « ومبا » وغيرها من مدن الساحل حيث يسكنها الآن الـ MaKameume المنسوبين الى قائدهم الأول الذى بدأ باستيطان المدينة وهو « ماكامى ابن تعمانى » قاضى كيلوا الذى جاء هو وأسرته واتباعه واستوطن المدينة المهجورة (٢٠) ٠

وتهم ايران المعاصرة بشرق افريقية وتحاول بشتى الوسائل زيادة العلاقات بينها وبين دوله الحديثة وتعمل باهتمام على اعادة الروابط القديمة فى كافة المجالات وخاصة النواحى الاقتصادية والاجتماعية ٠

E.C. Baker. Notes on the Shirasi of East Africa T.N.R. IX. II.